نـزهة المفاجـآت

الاستعداد للنـزهة

هاهي ذي العطلة الصيفية قد شارفت على نهايتها، وهاهي ذي أسرة الهاشم تستعد للقيام بنـزهة عائلية كبيرة في آخر خميس، قبل افتتاح المدارس.

كان كل فرد من أفراد الأسرة يتهيأ لهذه النـزهة، إلا أن حماسة التوأمين فادي وسنا البالغين أحد عشر عاما، كانت تفوق الوصف. فمنذ أسابيع أخذا يعدّان لهذا اليوم الهام، وكان يعاونهما في ذلك أخوهما وأختهما اليافعان أكرم ونور. لقد هيأ الأربعة مفاجأة بمناسبة الاحتفال بشفاء جدّهما من مرض طويل.

وكانت قطّتهم اللعوب فلفلة تعتقد أنها تشارك أيضا في الاستعداد للاحتفال فتتسلل خلف التوأمين وتقتل الشرائط الحريرية الملونة وتعقّدها، جاعلة منها كرة تلعب بها وتلاحقها في جميع أرجاء الغرفة.

وعلى الرغم من أن سنا كانت واثقة من أن ((المفاجأة)) التي تقوم بإعدادها مع إخوتها ستكون حدثا هاما، إلا أنها كانت دائمة التساؤل عما كان يهيّيء بقية أفراد الأسرة من مفاجآت.

حتى الجدّ والجدة كانت لهما أيضا مفاجآت يقدمانها للأسرة في يوم النـزهة. فقد قررا أن يختارا مكانها دون أن يخبرا أحدا عن ذلك المكان حتى اللحظة الأخيرة.

وكان أفراد الأسرة - وخاصة التوأمين- يتشوقون لمعرفة المكان الذي سيقضون فيه يومهم.

همس فادي في أذن أخته: ((كم أتمنى أن يختار جدّي وجدّتي البحيرة.. فهناك يمكننا أن نخوّض في الماء أو نسبح مع بقية الأولاد. وربما نستطيع أن نصطاد بعض السمك!!))

أجابته سنا: ((أما أنا فأمل أن يختارا المزرعة، حيث نستطيع أن نركض بين أشجار الزيتون ونقطف بعض ثمار التفاح والأجاص الناضجة.))

فردّ فادي وهو يهز رأسه موافقا: ((وسيكون هذا ممتعا، إذ يمكننا ملاحقة الدجاجات و إطعام الأرانب، أو أن نلعب لعبة الاستخفاء مع بقية الأولاد.))

نلتقي ثانية في أضيق زاوية من أضيق شارع في المدينة.))

أسرع الأولاد في ركوب السيارات وهم يتساءلون: ((وأين يكون هذا؟..))

قفزت فلفلة خلف التوأمين، فأمسك بها فادي وأعادها خارجاً وهو يقول: ((لا يافلفلة!! تعلمين أنه لا يمكنك الذهاب معنا.))

وهزّ التوأمان رأسيهما أسفاً وهما يريان فلفلة المسكينة، لأول مرة، تُعمل مخالبها الصغيرة في جانب السيارة كأنها تناشدهم أن يأخذوها معهم.

أخذ الأب مقعده خلف مقود السيارة قائلاً: ((أين أمّكم يا أولاد؟..)) أجاب أكرم: ((لقد دخلتْ المنزل فور وصول جدّي.))

وأضافت نور: ((كانت عيناها مغرورقتين بالدموع.))

وبعد لحظات عادت أمهم فركبت على عجل إلى جانب زوجها. لم يقل أبوهم يوسف شيئاً، بل انطلق بالسيارة مسرعاً خلف الآخرين. لقد خمّن سبب دخول زوجته المنزل. إن باسمة دخلت لتصلّي صلاة الشكر لله عرفاناً بشفاء والدها.

إلى أين يا جدّي؟..

وحلّ يوم الخميس !!.. أيقظ أكرم ونور أخويهما التوأمين، وتهيأ الجميع. حزموا كل شيء.. الطعام وأدواته، المفاجآت والألعاب.. وخرجوا إلى مدخل الحديقة.

يالها من متعة!! كان أقرباؤهم يَصِلون إلى فناء منزلهم وسياراتهم تطلق أصوات منبهاتها الحادة.. والأولاد يصرخون محيّين بعضهم بعضاً، بينما تجمّع الكبار ليضعوا اللمسات الأخيرة على ترتيباتهم... وكان الجميع بانتظار الجدّ والجدّة.

ولم ينتظروا طويلاً.

صاح فادي: ((هاهما قادمان!)) ووصلت سيارة الجدّ، فهرع جميع أفراد الأسرة، بما فيهم القطة فلفلة لاستقبالهما. كم كان منظراً رائعاً رؤية الجدّ خلف مقود السيارة مرةً أخرى، والجدّة تجلس إلى جانبه بكثير من الاعتزاز.

وسأل الأطفال جدّهم الذي تهيأ للانطلاق: ((إلى أين يا جدّي؟.)) فأجاب الجدّ وهو يتراجع بالسيارة إلى خارج الممر: ((إلى المكان الذي لم تزوروه قط.)) ثم التفت نحوهم وأضاف: ((أما مفتاح اللغز فسأقدمه لكم عندما

المطاردة

خلّف سيارة الجد انطلقت جميع السيارات وكأنها في موكب يخترق شوارع ((مرج الأمل)) . تلك المدينة الجميلة التي أخذت اسمها من البساتين والمروج الخضر المحيطة بها.

قاد الجدّ الموكب عبر الطرق الملتوية في الأحياء القديمة من المدينة، متوقفا بين الحين والآخر ليلوّح لهم بيده أن يسيروا إلى الأمام، وعلى وجهه ابتسامة كبيرة.

كان يصيح كلّما توقفوا خلفه دون أن يجرؤوا على تجاوز سيارته ((هيا!! هيا!!)) ثم تنطلق سيارته فجأة كالسهم، فيسرعون خلفه ليلحقوا به.

لقد استمتع الأولاد بكل دقيقة من هذه المطاردة العجيبة، استمتاعا نسوا معه أن يتساءلوا أين سيقضون يومهم

والتقت التوأمان ليلوحا لفلفلة مودعين، ولكنها لم تكن في الفناء. فقال فادي: ((أعتقد أنها دخلت البيت.))

وهكذا كان، حيث توقّف الجد بُعَيد المسجد أمام دكان عتيق لبائع ورد، و قد اضطر لركن سيارته محانيا الجدار حتى يتمكن من فتح بابها للخروج! فوجيء الأولاد بما رأوه من مياه تنساب منحدرةً من سطح الزجاج كالجدول، و بدت الازهار جميلة خلف الشلاّل الزجاجي، فتوسل الأولاد أن يأذن لهم الأهل في اللحاق بجدّهم.

((يجب ألاّ نفسد عليهما،)) أجابت أمُّهم. ((لا بد أنهما اختارا هذا المكان بالذات لخصوصيته.))

كانت مُحقّة، وقد لاحظ الأولاد ذلك عند إقبال الجد نحوهم قائلاً:

((هانحن أولاء نلتقي ثانية. هل رأيتم من قبل شارعاً كهذا؟.. إنه ضيّق جداً أليس كذلك؟.. حسن، لنعد ونستأنف طريقنا... وسنلتقي فيما بعد.))

فصاح الأولاد المتشوقون لمعرفة المكان الذي يقودهم إليه: ((ولكن إلى أين سنتجه؟.. أعطنا مفتاح اللغز... أين سنراك ثانية ياجدّي؟..)).

أجابهم، وفي عينيه نظرة ضاحكة متخابثة: ((هل تريدون حقاً أن تعرفوا؟..)) فقالوا: ((طبعاً ياجدّي.. نرجوك)).

قال فادي: ((يبدو أن جدّي يسير في دوائر.. فلماذا تراه يفعل ذلك؟)) أجاب والده: ((أعتقد أنه يَصعب عليه الوصول إلى هدفه بسبب هذه الطرق ذات الاتجاه الواحد.))

وضحكت نور قائلة: ((أو أن جدّي، ببساطة، يجد متعة في هذه المطاردة!))

وأخيراً، وصلوا إلى بقعة تعلوها قنطرة تقضي، فيما يبدو، إلى زقاق ضيّق جداً، دخله الجدّ دون أن يتوقف. وصاح الأولاد عندما خفّف والدهم من سرعة سيارته: ((اتبعه.. اتبعه يا أبي!!..))

كان الطريق ضيقاً حقاً، كان على السيارات التحرك ببطء شديد. ولو كان يسمح للأولاد أن يمدوا أيديهم خارج السيارة لأمكانهم لمس جدران الزقاق من الجانبين.

وبدت الدهشة على وجوههم وهم ينظرون إلى الأبواب الكبيرة العتيقة، وإلى الدكاكين الصغيرة القديمة، وإلى المسجد أمامهم،بقبته الساحرة ذات اللون القرميدي.

قالت باسمة: ((هذا المكان لم يتغير منذ كان جدكم صغيراً. وأعتقد أنه يريد أن يزور المسجد الذي كان يصلّي فيه حينذاك.))

وأضافت سنا مبتسمة: ((لقد رأيتُ بعضاً من ذلك، بالإضافة إلى عدد من الحمير أيضاً.))

علّقت باسمة قائلة: ((كانت أكثر هذه بغالاً للفلاحين الذين يحملون خضارهم وفاكهتهم إلى المدينة.))

واسترسل يوسف يقول: ((كانت الطرق الضيقة مصمّمة كذلك لأسباب أمنية. فهي تبدو لإنسان غريب كالمتاهة التي لايستطيع أن يجد طريقه داخلها.))

فقال أكرم وهو يحكّ رأسه مفكراً: ((وهكذا، كان يمكن معرفة الدخلاء و إيقافهم.)) ردّت نور ضاحكة: ((هذا بعد أن يكونوا قد ضاعوا أولاً داخل المتاهة.))

وأضافت باسمة على ماقاله زوجها: ((كما أن تلاصق المنازل، كما نرى، يجعل الطريق ظليلاً ورطباً أكثر ساعات النهار، بالإضافة إلى أن فسحة الدار الداخلية التي تعرّش فيها الأشجار والأزهار كانت ترمي إلى الغرض نفسه.. حرية حركة الأسرة داخل بيتها.. في جو ظليل رطب.))

أجاب فادي: ((آه.. لم أكن أعرف ذلك.))

وابتسم الجدّ، واستدار فجأة وسار مبتعداً نحو سيار

الخروج من المتاهة

سألتْ نور: ((هل يعني جدّي ما قال؟.. إنني لم
قط بمثل هذا المكان.)) فانفجرت باسمة ضاحكة وق
((إنه جادّ تماماً، وهو يتمتع بما يفعله بنا، كما نتمتّ
حن.)) وضحك الأولاد. إن جدهم يبدو وكأنه في ر
الشباب!

وهمست نور في أذن أخيها أكرم: ((إنني سعيدة
جدي استعاد صحته.)) فأجابها هامساً: ((وأنا كذل
كانوا يعرفون كم كانت أمهم قلقة خلال مرض والدها

وسأل فادي أباه الذي كان يحاول الانعطاف بحذر
حارة ضيّقة متعرّجة: ((لماذا أقام الناس في الما
طرقهم ضيقة كما نرى؟..))

أجابه يوسف: ((إنهم لم يكونوا بحاجة إلى طرق

ابتسمت نور لرؤية ابنة خالها رشا واتجهت نحوها لتتحدث إليها. قالت وهي تتأمل الأبنية وقد ارتفعت فوقها المآذن، والشوارع العريضة التي بدت من هذا البعد كخطوطٍ رفيعة، والنهر الذي ظهر وكأنه شريط حرير: ((ياالله!! كم نحن على ارتفاع شاهق!!))

فأجابت سنا وهي تلتقط أنفاسها: ((أشعر وكأنني في طائرة !!))

أما فادي فلم يبد اهتماما بالمنظر، إذ كان منشغلا في استكشاف المنطقة. وبعد أن فعل، قال في نفسه: ((هذه البقعة تبدو جميلة.. فيها بعض الصخور.. وقليل من الأشجار التي يلاعبها النسيم العليل. نحتاج طبعا إلى فسحة واسعة من الأرض لعرض مفاجأتنا، وهذا متوفر أيضا.))

والتقط قطعتي ((المفاجأة)) من بين الأمتعة المكدّسة فوق ظهر السيارة، ثم صاح: ((أكرم.. يا أكرم، تعال نحضرها.))

الواقع أن الكبار كانوا منفعلين أيضا. فقد كانوا يترقبون يوم افتتاح المرور على الطريق الجبلي.. وهذا هو اليوم المنتظر قد حلّ.. وهاهم هنا!!

وبدأوا بترتيب أشياء النزهة.

إلى آخر آخر الخط!

كان الجميع منهمكين في الحديث، مما جعلهم يُفاجَأون عندما وجدوا أن والدهم يقود السيارة خارج المدينة وفي الطريق، الجبلي الجديد.

صاح فادي وسنا معاً: ((هكذا إذن!! هذا هو المكان الذي نقصده!!)) وضاق الطريق، وازداد صعوداً. وفجأة وجدوا أنفسهم في أرض فسيحة. هاهم أولاء قد وصلوا أخيراً.

تبعتْ السيارات جميعها سيارة الجدّ حتى وصلت إلى قمة أعلى مرتفع يطل على مدينة مرج الأمل، مخلّفين وراءهم المنازل والسيارات الأخرى والحافلات، حتى البائعين الجوالين بعرباتهم التي عرضوا فيها فاكهة الصبّار مصفوفة على الثلج. ووصلوا أخيراً إلى نهاية الطريق.

صاح نور وأكرم في وقت واحد: ((ياله من منظر بديع!))

وخرج الجميع من سيارتهم يحركون أرجلهم التي طال حشرها داخل السيارة.

قصاصات الورق الصغيرة الملونة المحشوة داخله، في جميع الاتجاهات.

أما فادي وسنا فقد أمضيا أسبوعا آخر في تلوين الطائرة الورقية الحمراء والصفراء، وكتابة الرسالة، ولصق ذيلها وشرائطها، ثم وضعا القصاصات والرسالة داخل جيبها، على أن تخرج الرسالة ملونة بألوان قوس قزح. ويمكن قراءة الرسالة من بعيد، وهي تقول: "جدّي.. جدّتي إننا نحبكما."

قال أكرم مخاطبا نور، وهما يفتشان المنطقة مرة أخرى بحثا عن الرسالة المفقودة: ((إن الذي حدث- لغز!!)) أجابته نور: ((أين يمكنها أن تكون؟... لم يأت أحد إلى هنا. إلا إذا كانت الريح حملتها بعيدا. فالريح اليوم نشطة.))

ووقف التوأمان إلى حافة الهضبة ينظران عبر المنحدر نحو المدينة وهما يفكران بكثير من الأسى والاستسلام: ((إذا، لقد ضاعت الرسالة!!.))

سمع فادي صوت أخيه أكرم وهو يصيح متسائلا: ((فادي، أين الرسالة التي كتبناها لجدّي وجدّتي؟..)) فأجابه فادي وهو يتجه نحوه: ((لقد تركتُها هنا، قرب بقية أجزاء المفاجأة.))

قال أكرم: ((إنها ليست هنا !))

فصاح فادي مكتئبا وهو يبحث حوله: ((ولكنني وضعتُها بيدي هناك منذ برهة فقط.))

وراح الأولاد الأربعة يبحثون عن الرسالة الجميلة في كل مكان ولكنهم لم يجدوها. واعتراهم شعورٌ بخيبة الأمل، فلن يكون ((للمفاجأة)) طابعها الخاص من دون تلك الرسالة.

قال أكرم، محاولا أن يسرّي عن إخوته: ((ولو لم نجد الرسالة، فإن لدينا طائرةً ورقيةً رائعة.)) فهزّت نور برأسها موفقة بدون حماس، فيما أجاب التوأمان معا: ((لا، ليس الأمر كذلك. ستكون المفاجأة ناقصة.))

وكانا على حق. فقد بذلا جهدا مضنيا في تهيئة مفاجأتهم. وقد أمضى أكرم ونور أسبوعا كاملا في صنع الطائرة الورقية المميزة. وجعلا لها جيبا سريا ينفتح عندما يُشدّ الخيط بطريقة خاصة، فتتطاير عندئذ

أصرّ أكرم على انتقاء القطعة التي تشبه فادي ليقضمها بأسنانه قضماً.

عندما جاء دور الأولاد ليقدّموا للجميع مفاجأتهم، شرح فادي وسنا لجدّهما وجدّتهما ماحدث من ضياع الرسالة. واختتمت سنا شرحها: ((وهكذا ترون أن مفاجأتنا قد أخفقت.)) فقالت الجدّة مواسية: ((لاتدعوا ضياع الرسالة يفسد عليكم فرحتكم. فأنا وجدّكم نقرأ رسالة الحب مكتوبة على وجوهكم الغالية!))

كان الجدّ أول من بدأ بتطيير الطائرة الورقية. وركض الأولاد خلفه والطائرة تعلو مرتفعة في الجو. كم كان ذلك جميلاً!!

وفجأة لفت نظر الجدّ شيء من بعيد، فتوقف وأعطى الخيط إلى أكرم الذي كان ينتظر دوره ليطيّر الطائرة الورقية.

قال الجدّ وهو يسير مسرعاً باتجاه موقف السيارات: ((إن لغز الرسالة الضائعة قد استبان)). نظر كل من التوأمين إلى الآخر وسألا بصوت واحد: ((ماذا رأى جدّي؟..)) صاح الجدّ وهو ينظر تحت سيارته: ((لقد أمسك المحقق بالسارق وهو بالجرم المشهود!))

فصرخ فادي وسنا بدهشة: ((فلفلة!!.))

حل اللغز

رأى الأولاد الجدّ والجدّة يتجهان نحوهم. وكانت الجدّة تبدو جميلة وهي تحمل بيدها باقة من الزنبق، زهرة مرج الأمل الصيفية.

ركض الأولاد نحوهما، وانحنت الفتيات يستنشقن بنهم عبير أزهار الزنبق البيضاء التي كانت تبدو وكأنها ضُمّت معاً على أغصان دقيقة طويلة.

وعانقت الفتيات جدّتهن التي قالت مبتسمة وهي تقبّل كلاً منهن: ((أنتن زنابقي الصغيرات، وكلكم يا أحفادي الأحباء أجمل من كل الزهور!)) فابتسم الجميع مسرورين.

لن تنسى الأسرة كلّها، ومعها القطة فلفة هذا اليوم أبداً، كما سنرى.

اشتركت باسمة مع أختها الخالة سارة في تهيئة ماكانتا تأملان أن يكون أطرف المفاجآت. فقد صنعتْ باسمة قطعاً من الحلوى تشبه الأشخاص، وقامت سارة، وهي فنّانة، باستعمال السكّر الملون لرسم كل قطعة منها كي تشبه أحد أفراد الأسرة. وقد بدت قطع الحلوى هذه مضحكة للغاية. واستغرق الجميع في الضحك عندما

أصرّت على مرافقتكم. لقد أخذتم لعبتها ولم تأخذوها هي معكم.))

وكان الجدّ بالطبع أول من رأى الجانب الهزلي من مغامرة فلفلة، فاستغرق في الضحك وهو يحاول أن يتكلم: ((ها.. ها.. ها.. لم أر قبل الآن ها.. ها.. شيئاً مضحكاً مثل هذا.. ها.. ها.. تصوّروا كم كانت فلفلة مضحكة لكل من رآها فوق رؤوسكم على ظهر السيرة ونحن في طريقنا إلى هنا .. ها.. ها.. فلفلة تلوّح للمارة في الحارات ! ها.. ها..))

فأضاف فادي: ((وتروّع الجارات!))

فقالت سنا: ((يظنون ذيلها ثعباناً يطير!))

فشهق أكرم ضاحكاً: ((صراخٌ و مواءٌ و نهيق حمير!))

وأضاف الجدّ، وهو لايزال يضحك عالياً: ((ها.. ها.. هذه هي أطرف المفاجآت جميعاً.)) ووافقته الجدّة على ذلك بقولها: إنها حقاً أطرف المفاجآت. ولكن لاتخبروا باسمة وسارة أننا قلنا ذلك!))

وكانت فلفلة تحت سيارة الجدّ، تلعب بكرة كبيرة من الشرائط الحريرية الملونة وورقةٍ ممزقة هي..الرسالة الضائعة!!

صاحت سنا: ((ماالذي أتى بفلفلة إلى هنا؟..)) فأجاب فادي: يبدو أنها قفزت فوق ظهر السيارة، واختبأت بين الأمتعة العلوية قبل مغادرتنا، في الوقت الذي كنا نعتقد فيه أنها دخلت المنزل. تعرفين كم هي عنيدة هذه الفلفلة.))

وعلّق نور وأكرم قائلين وهما ينضمّان إلى الآخرين: ((صحيح.. كنّا نعرف كم هي عنيدة.)) ولكنهما كانا مع ذلك مندهشين جداً لما حدث.

ومدّ أكرم يده تحت سيارة جدّه محاولاً الإمساك بفلفلة وهو يقول: ((أيتها العفريتة الصغيرة!!.)) وصاحت نور، وهي ترى القطة تحاول الهروب بالكرة التي كانت تلعب بها: ((كان يمكن أن تقتلي نفسك أيتها المجنونة!!)) وضحكت الجدة عندما جاءت وعرفت ماحدث قائلة: ((هكذا إذاً أيتها الشيطانة!!)) إنها أنت التي حاولت إفساد مفاجأة الأولاد!!))

وحاول فادي وسنا أن يبررا عملها قائلين إنها تحبّ كثيراً شرائط الحرير. فقالت الجدّة ضاحكة: ((ولذلك

- ((تعاليا إلى هنا ياجدّي وياجدّتي!))

وقاد فادي وسنا الجدّ والجدّة إلى الفسحة الكبيرة وهما يقولان: ((هيا بنا ياجدّي وياجدّتي!!)) ثم توقفوا ينظرون فوقهم مباشرة، حيث كان أكرم يطيّر الطائرة الورقية.

وفجأة.. شدّ أكرم الخيط بطريقة خاصة، فإذا بشيء يشبه وردة كبيرة متعددة الألوان، تتفتح في السماء، شكّلتها القصاصات الملونة التي تناثرت من جيب الطائرة وراحت تتهادى وهي تهبط في كل الاتجاهات.

ووقف الجدّ والجدّة يضحكان، والقصاصات تتساقط عليهما، بينما أخذ الجميع يصفقون... وكان ذلك منظراً بديعاً جديراً بالإعجاب.

وبدا أخيراً، أن مفاجأة الأولاد كانت هي الأطرف.

وفي نهاية النهار، عندما حان وقت العودة إلى المنزل، سأل فادي وسنا جدّهما لماذا أطلق على هذا المكان اسم: آخر آخر الخط؟..

ردّ الجدّ سائلاً، وهو يشير إلى أسفل الجبل: ((هل تريان هذه الساحة حيث يبدأ الطريق الجبلي ؟..)) سأله فادي: ((هل تعني الحديقة العامة، حيث الناس والباعة الجوّالون؟..))

اصرّت على مرافقتكم. لقد اخذتم لعبتها ولم تاخذوها هي معكم.))

وكان الجدّ بالطبع أول من رأى الجانب الهزلي من مغامرة فلفلة، فاستغرق في الضحك وهو يحاول أن يتكلم: ((ها.. ها.. ها.. لم أر قبل الآن ها.. ها.. شيئاً مضحكاً مثل هذا.. ها.. ها.. تصوّروا كم كانت فلفلة مضحكة لكل من رآها فوق رؤوسكم على ظهر السيرة ونحن في طريقنا إلى هنا .. ها.. ها.. فلفلة تلوّح للمارة في الحارات ! ها.. ها..))

فأضاف فادي: ((وتروّع الجارات!))

فقالت سنا: ((يظنون ذيلها ثعباناً يطير!))

فشهق أكرم ضاحكاً: ((صراخٌ ومواءٌ و نهيق حمير!))

وأضاف الجدّ، وهو لايزال يضحك عالياً: ((ها.. ها.. هذه هي أطرف المفاجآت جميعاً)) ووافقته الجدّة على ذلك بقولها: إنها حقاً أطرف المفاجآت. ولكن لاتخبروا باسمة وسارة أننا قلنا ذلك!))

وأمسكت نور أخيراً باللصّة ذات الفراء وقالت وهي تمرّر يدها برفق على ظهرها: ((لاشك أنك محظوظة فلم تقعي من فوق السيارة قبل أن نصل إلى آخر الخط. إن مافعلته يافلفلة كان خطيراً.. خطيراً جداً.))

اشتقتُ إليكِ

كانتْ سنا تشعر بكثير من الحماسة، فالمدرسة ستفتح غداً!!. وهناك ستلتقي كل صديقاتها. كانت تريد أن ترتدي ثوباً جديداً للمناسبة لم تره صديقاتها بعد. ولهذا أخرجتْ ثوبها الأحمر ذا النقاط البيضاء من الخزانة، ووضعته بعناية على الكرسي.

غداً سيكون يومها الرائع!!.

وفي فجر اليوم التالي، بينما كان أبوها يوقظها للصلاة، عانقته سنا بحرارة. سألها وهو يقبلها: ((هل أنتِ سعيدة يا سنسون؟..)) أجابتْ: ((نعم يا أبتِ.)) كم تحبُّ أن يناديها أبوها ((سنسون)).

كان أكرم ونور قد استيقظا قبلها. فهما دائماً أول من ينهض، لأن عليهما فعل الكثير، وهي شديدة الإعجاب بهما. أما أخوها التوأم فادي فكان يرى أنهما مراهقان

قال الجد: ((هذه الساحة كانت في الماضي نهاية الخط.. قبل أن تولدا.

وعندما كانت أمكما طفلة صغيرة كانت هذه البقعة هي الموقف الأخير لحافلة الترام في مدينة مرج الأمل. كان الخط الحديدي ينتهي هنا، وكانت الحافلة تستدير عند تلك البقعة لترجع وتعود إلى المحطة الرئيسية في المدينة.))

ضحكتْ سنا وقالت: ((هذا المكان، حيث نحن الآن، هو حقاً آخر آخر الخط.))

وصاح الطفلان معاً: ((الآن فهمنا!!))

وخرج فادي من غرفته وقد ارتدى كامل ثيابه، ولكن وجهه كان يبدو غريباً، كوجه قطتهم فلفلة بعد اختطافها شيئاً ما من المطبخ.

وجاءت: أمّهما. إنها تحس دائما بالأمور المريبة.

سألت: ((ما بالك سنا ياحبيبتي؟.. هل ماسمعتُه صراخك أنتِ، أم أن فادي داس ذنب فلفلة؟..))

صاحت سنا: ((ثوبي الجديد!!. لقد بحثتُ عنه في كل مكان دون جدوى. لقد تركته هنا فوق الكرسي!!.))

نظرت باسمة بهدوء إلى ابنتها وقالت: ((وهل كنتِ عازمة على ارتدائه اليوم للمدرسة؟..)) فأجابتها سنا: ((نعم يا أمي.))

سألتها أمها: ((هل تعتقدين أن فكرتك هذه صائبة ياعزيزتي؟..))

أطرقتْ سنا مفكّرة للحظات، ثم نظرتْ إلى أمها وقالت: ((قد لاتكون كذلك. بل أظنّ أنها فكرة غير صائبة فعلاً.))

وابتسمتْ باسمة لسنا بكثير من الحنان، وقامت فجاءتها بلباس المدرسة الجديد، مكويا يشعّ نظافة. إنه رائع!!.

مخيفان. أو أنه كان يقول ذلك لمداعبتهما. فهو يحب مشاكسة الآخرين كلما أتيح له ذلك. وكان والده يعدّ ذلك من ((روح النكتة)). أما أمّه فكانت تقول إنه يشبه بذلك أباها، وتعني بهذا الجدّ طبعاً.

أنهى فادي صلاته وأسرع يريد ارتداء ملابسه، فرأى باب غرفة سنا مفتوحا، ولم يكن بها أحد. لمح ثوبها الأحمر ملقىً على الكرسي.

راودته فكرة شيطانية، فقال في نفسه: ((آه.. كم أتمنى أن أسمع صراخها!!.)) وتسلل إلى غرفتها بهدوء، وخرج حاملاً ثوبها وأخفاه في خزانته.

بعد أن انتهتْ سنا من الحمّام، ما يستغرق في العادة دهراً من الزمن، ركضتْ إلى غرفتها وهي تقفز وتنطّ، كما تفعل البنات عادة.

وفجأة... سمع كل من كان في المنزل، بل سكان المدينة، صراخها.

وراح فادي يضحك.. حتى شعر أن بنطال منامته يكاد يتمزق!

أما سنا، فكانت تشعر بكثير من التعاسة، فهي تكاد تتأخر عن المدرسة، وثوبها ضائع لاتجده في مكان.

وفكّرت سنا: ((كم أنا سعيدة لأنني لم أرتدِ ثوبي الأحمر الجديد، لأنه غير مناسب.)) ولوّحت بيدها إلى أخيها فادي، الذي كان يقف في الصف تمهيداً لدخول قاعة الدرس، فردّ عليها ملوّحا بيده أيضاً.

كان يوسف وباسمة قررا أنه من الأفضل لكل من سنا وفادي أن يكونا في قاعتين دراسيتين مختلفين. وقالت لهما أمهما: ((لكل منكما شخصية مستقلة مختلفة.)) ولم يعارض التوأمان الفكرة. فقد ساعدتهما على أن يكون لهما مجموعتان من الأصدقاء.

وأحسّت سنا في اليوم الأول أن ساعات الدراسة تمرّ بسرعة كبيرة، فيما كانت تنظر بفارغ الصبر الحصة الخامسة، والمادة فيها الثقافة الإسلامية، التي ستكون معلمتها هذا العام أيضاً هي الآنسة ربى. يا الله كم هي ممتعة دروسها!!.

- - ((السلام عليكم.))

ووقف التلاميذ والتلميذات فرحين، وتمتّت بعض الفتيات أن يقبّلن معلمتهن.

- - ((والآن كيف حالكم أيها الأطفال الأعزاء؟..))

أخذوا، كل بدوره، يحدثونها عن عطلتهم، وعن أهلهم، وعن رحلاتهم وعن أصدقائهم وأطوالهم التي بدأت تتغير.

ارتدته سنا ومشطت شعرها، ثم لبست حذاءها الجديد اللامع.

نصحتها أمها بأن لاتشغل بالها بالثوب: ((أعتقد أنني أعرف أين أجده. إن المذنب الذي قدّم لك خدمة طيبة سينال مع ذلك جزاءه. حسنا فعلت بعدم ارتداء ثوبك الجديد اليوم.))

وهكذا، لم تُضيعْ سنا وقتها في التفكير بالثوب بعد ذلك. فهي لاتقلق البتة عندما تُمسك أمّها بزمام الأمور.

وتمتمت: ((مدرستي.. ها أنا ذي قادمة!!))

شعرتْ سنا بسعادة بالغة للقاء رفيقات مدرستها. كان منظرهنّ جميلاً في لباس المدرسة الجديد. عدد قليل من الفتيات كن يرتدين أثواباً جميلة، ولكنها كانت تبدو غير ملائمة.

((كلمات الخير، والسوء كذلك
تتجاوز كأصوات.. حدود الشفاه
أشجارا تنمو بعد ذلك
كلٌ بحسبها تكون الثمار
طيبة تبلغ عنان السماء
أو عفنة فتقتلعها الرياح.))

- - ((شكرا يامازن. لقد حفظت الأحجية غيبا. والآن، من يخبرني بموقع الإجابة؟.))

وارتفعت أيد كثيرة.. كل تلميذ يتمنى أن يكون هو من يقرأ القرآن.

سألتْ المعلمة: ((سنا؟))

نهضتْ سنا وقالت: ((الجواب في --14:24 سورة إبراهيم، الآية الرابعة والعشرون.))

ابتسمتْ الآنسة ربى وقالت: ((أرجو أن تقرأيها.))

وبدأت سنا:

بسم الله الرحمن الرحيم

{ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء. تؤتي أكلها كلّ حين بإذن

حتى إن بعض أصدقاء أسرهم تساءلوا عمّا إذا كانت ((ابنتكم قد وصلت إلى المرحلة الإعدادية)) أو ((لا أكاد أصدق أن هذا الشاب هو ابنكم)). كل هذا وهم مايزالون في مرحلة الطفولة!

قالت لهم الآنسة ربى: ((لاتفكروا كثيرا في ملامحكم وأطوالكم الآن. كل ماعليكم عمله هو أن تأكلوا طعاما صحيا وتناموا جيدا، وتقوموا ببعض التمارين وتغتسلوا يوميا. والأيام هي التي ستتكفل بحلّ جميع مشاكلكم.))

كانوا يبدأون درسهم دائما بتلاوة ماحفظوه من القرآن الكريم، وكان عند الآنسة ربى دفتر صغير لكل منهم تسجّل فيه تقدّمهم، وتلصق لهم على صفحاته نجوما أو صورا صغيرة جميلة للتشجيع. ثم كانوا بعد التلاوة، يدرسون من كتبهم ويُكلفون بالواجبات المدرسية. أما في نهاية كل حصة، فكانت الآنسة ربى تطرح أحجية. وكانت تلك الأحاجي مصدر متعة كبيرة لهم، يسعدون كثيرا في البحث عن أجوبتها.

- - ((من منكم يعطيني جواب الأحجية التي طرحتُها عليكم قبل بدء العطلة؟.. ماهو نص الأحجية يا مازن؟..))

نهض مازن، لقد ردد الأحجية مرات عديدة، لذا فهو يذكرها عن ظهر قلب:

تبقى، ومن المحتمل ظهور أذاها في أي مكان وفي أي وقت.))

وكان لدى الأطفال أفكار أخرى لمناقشة هذا الموضوع، فساعدتهم الآنسة ربى في ذلك.

وفجأة رنّ جرس المدرسة، فقالت وهي تبتسم: ((لقد أدركنا الوقت وانتهى الدرس.))

فصاح الجميع بصوت واحد: ((الأحجية يا آنسة.. الأحجية!!.))

ضحكت المعلّمة وهي تقول: ((هل تظنّون أنني سأنسى؟.. الأحجية للأسبوع القادم.. دعوني أرى.. حسناً:

عدوٌ نكسبه باللطف والإحسان
ينقلب صديقاً وفياً.. مع الزمان.))

وكتبت الآنسة ربى الأحجية على اللوح، وقام التلاميذ بنقلها في كرّاساتهم بحماسة واضحة، وهم يتبادلون الأفكار حول جوابها.

وبعد فترة قصيرة، ذهبت سنا إلى غرفة المعلّمات لرؤية الآنسة ربى. كانت تحمل لمعلمتها المفضّلة بطاقة كُتب عليها (كم اشتقت إليك) وأضافتْ لها على البطاقة

ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثّتْ من فوق الأرض مالها من قرار}.

كانت تلاوة سنا للآية تلاوةً جملية.

وسألتْ المعلمة: ((ماذا تفهمون من هذه الآية؟..))

قال حسن، الذي كان أول من رفع يده بحماس: ((أعتقد أن الكلمة الطيبة، كلمة الخير، تؤدّي إلى خير أكثر، كالشجرة التي تحمل الثمار كل الفصول. أما الكلمة الخبيثة، كلمة السوء، فتحطّم الإنسان الذي تصدر عنه، وتخرب كل ماتلامسه، وكأنها شجرة مؤذية.))

قالت الآنسة ربى: ((هذا صحيح، شكراً ياحسن، فقد كان شرحا ممتازاً. هل الكلمات هي المصدر الوحيد للسوء والشر؟..))

أجابت نجلاء: ((كلا، فالأفعال يمكن أن تكون شريرة أيضاً.))

قالت الآنسة ربى: ((نعم. فالأفعال يمكن أن تكون شريرة أيضاً. يجب أن نتعلم درساً من هذا. فكثير من الناس لايعرفون كم يمكن لأقوالهم وأفعالهم أن تكون مصدر سوء. تصوروا، الفعل السيء كالتلوث البيئي: رغم أنه أحياناً لا يُلاحظ على الفور، فإن آثاره السيئة

نزهة المفاجآت
و
قصص أخرى

رندة حموي

كلمات أخرى حلوة، وزينتها برسوم قلوب وأزهار. عانقتها الآنسة ربى وقبّلتها قائلة: ((وأنا اشتقتُ إليكِ أيضاً يا حلوتي.))

وشعرتْ سنا بالسعادة وكأنها تطير في الهواء، من المؤكد أنها ستكون سنة دراسية رائعة!..